الموانئ القديمة لمدينة تيبازة : دراسة جيومرفولوجية

The Ancient Ports of Tipasa: Geomorphological Study

بواري دنيا [1]*، بن صالح نزيم[2]

[1] ماستر 02 آثار قديمة ،المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة- مخبر الدراسات التاريخية والاثرية

[2] بن صالح نزيم، باحث ، المركز الوطني للبحث في علم الآثار، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/02/02؛ **تاريخ القبول:** 2021/03/15

ملخص: تتمحور دراستنا حول الجانب الجيومرفولوجي للموانئ القديمة لمدينة تيبازة، فقد اختصرت البحوث السابقة في دراسات تاريخية وأثرية فقط. تزودت المدينة بميناءين في الفترة القديمة (ميناء موقع سيدي سعيد و موقع الميناء الحالي) زيادتا إلى مرافئ تكون قد استعملت مثل شاطئ ماتاريس و الخليج المتواجد في الحظيرة الغربية. من هنا نستنتج أن المدينة القديمة كانت تتمتع بعدة أماكن كانت تستعمل لرسو السفن.

الكلمات المفتاح: ميناء؛ تيبازة؛ مرفئ؛ جيومرفولوجية؛ جيواثرية.

Résumé :

Notre étude se concentre sur l'aspect géomorphologique des anciens ports de la ville de Tipasa, les recherches antérieures étant réduites aux seules études historiques et archéologiques. La ville était dotée de deux ports à l'époque antique (le port de Sainte-Salsa et le port actuel), qui s'ajoutaient aux abris qui avaient été utilisés, comme la plage de Matares et la petite plage qui se trouve dans le parc ouest. De là, nous concluons que la ville antique été dotée plusieurs endroits utilisés pour l'amarrage des bateaux.

Mots-clés : port ; Tipaza ; abris ; géomorphologie; géoarchéologie.

Abstract:

Our study focuses on the geomorphological aspect of the ancient ports of the city of Tipasa, as previous research was reduced to historical and archaeological studies only. The city was provided with two ports in the ancient period (the port of Saint Salsa and the present port), which were added to the Shelters that had been used, such as the beach of Matares and the Gulf in the western barn. From here we conclude that the ancient city had several places used for docking.

Keywords: Port; Tipaza; Shelters; geomorphology; geoarchaeology.

المقدمة:

يندرج هذا المقال ضمن سلسلة من المقالات التي طالت دراسة الآثار الغارقة، إثر مجموعة من التحريات البحرية والبرية التي أجريت في بعض البقع ذات الأهميّة الأثرية والتاريخية من منطقة تيبازة خلال السنتين الماضيتين، و التي أسفرت على نتائج قاطعة حول العلاقة المزدوجة بين النشاط الإنساني والبحر في الفترة القديمة، عبر المخلفات التي تَمِتُّ بصلة بالنشاط الملاحي، من بينها ميناء تيبازة في الفترة القديمة.

نظرا لخصائص الموانئ القديمة من حيث ازدواجيتها بين البر والبحر، فإنّ دراستها متعددة الميادين، لا تكتفي بالطابع الأثري والتاريخي فقط، بل تلجأ الى التقنيات العلمية الحديثة التي تركّز حول ماهيتها الأساسية و ديناميكيتها، بطابعها الترسبي ومحيطها الجيومرفولوجي. في هذا الصدد، ترتكز دراستنا على الطابع الجيومرفولوجي والجيوأثري الذي يطول موانئ تيبازة من خلال تحليل مظاهر تغير الخط الساحلي للمنطقة.

1- ميناء مدينة تيبازة و مرافئها:

يفترض كون موقع سيدي سعيد ميناءا طبيعيا محمي من طرف جزيرتين قبل أن يصبح اصطناعيا. أول من اقترح

*بوراي دنيا

الموقع كان قزيل

(S. Gsell) مستندا الى نصين حول "شوق القديسة سالسا"(Yorke and Davidson, 1968, p15). و في 1968 م، أكّد الباحثين يورك و دافيدسون في ظل المشروع المغربي، الى وجود بقايا تهيئات مينائية للحماية في الموقع، مشكلة حوضا محميا بين الجزيرتين و هضبة كودية الزعرور (Yorke and Davidson, 1968, p15). أمّا موقع الميناء الحالي، فأول من افترضه كان قزيل (S.Gsell) يؤيده سينتاس (Cintas) في منطقة تلاقي الوادين الذين يصبان في الموقع، بحجة كون تلك الهيئة الفضائية الطبيعية (ميناء مصب نهري)، موقعا مثالي للإرساء لدى الفينيقيين و البونيين (Lancel. S, 1982, p 743). درس باراديز (Baradez) بدوره موقع الميناء الحالي سنة 1950م، مؤكدا ردم الميناء القديم تحت ترسبات الوادين الذين يصبان في الموقع (Baradez. J, 1961,p17).

تشير الأبحاث كذلك الى استغلال موقعي خليج الحظيرة الغربية و شاطئ المتاريس كمرافئ. يمتاز الأوّل بشاطئ صغير محاذي لورشة القاروم (Yorke and Davidson, 1968, p14)، بينما الثاني خارج الأسوار الجنوب-غربية للمدينة رجح استعماله من طرف الفينيقيين كأول نقطة إرساء ، بسحب سفنهم خارج المياه بوجود الشاطئ الرملي و التموين بالمياه الشروب (Yorke and Davidson, 1968, p14).

الصورة رقم 1: ميناء تيبازة و الحضيرة الشرقية

المصدر: Edouard stawaski 1962

2- جيولوجيّة مدينة تيبازة:

تقع منطقة تيبازة على استمرارية الساحل المتوسطي الذي تتعرض أراضيه للتحركات التكتونية من إنخفاض و غرق في البحر، ما يمنحها منظر حوض تتخلله منحدرات شديدة، خلجان و هضبات ناتجة عن الطبقات الجيولوجية السفلية من الكثبان الحجرية و الطمي الأحمر و الحركة البحرية (Bettrouni. M, 1998, p 27). ترتكز المدينة على الدعامة الساحلية المائلة يصل ارتفاعها الى 240 م في الضريح الملكي الموريطاني، و تندمج غربا مع بقايا حافة القاعدة الإفريقية في مجرى واد الناظور مشكّلا كتلة الشنوة (Bettrouni. M, Saoudi. N, 1978-1979, p11).

نميّز إختلافا ظاهرا بين المقاطع الجيولوجيّة لشرق و غرب مدينة تيبازة تفصل بينها هضبة الناظور، نتجت عن مجموعة من الفوالق الرئيسية التي تؤثر على الحركات التكتونية للمنطقة، فنشهد كواسر على مستوى الطبقات السيسيلية البحرية و في المنظر المتراجع للكثبان الصلبة. نتجت من هذه الحركة التكتونية إنزلاقات كبيرة على مستوى القرية السياحية C.E.T، بينما تسبب انكسار على مستوى مدينة تيبازة علة انخفاض الموقع الغربي ابتداءا من المقبرة الرومانية المسيحية، أمّا الفالق الثالث تطول هضبة الناظور نتجت عنه منطقة منخفضة و واسعة. (Saoudi. N, 1984-1985-1986, p 74).

الشكل رقم 1: رسم جيومرفولوجي لساحل مدينة تيبازة

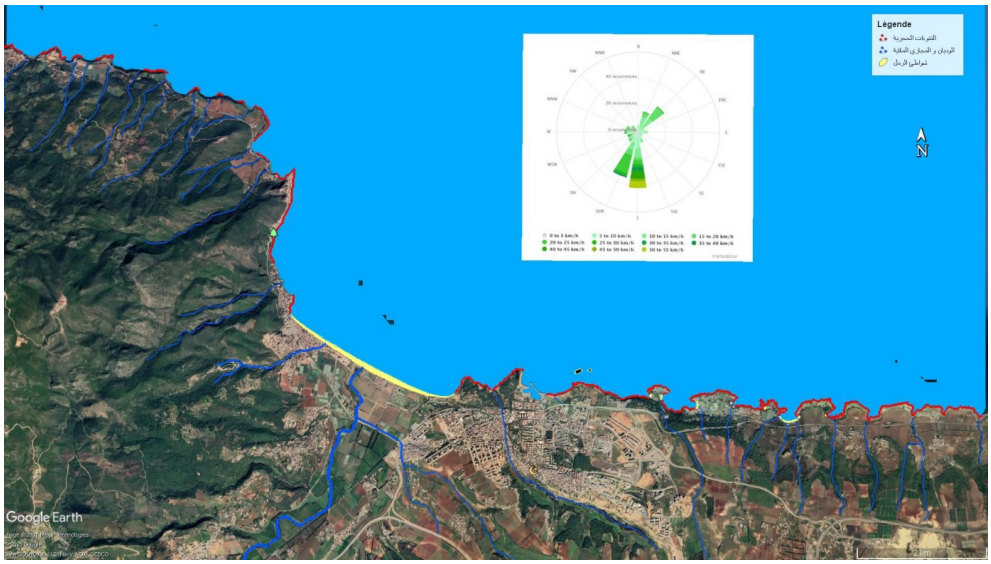

المصدر: Google Earth برسم بن صالح نزيم

3- الخصائص الجيومرفولوجية لمواقع موانئ تيبازة ومرافئها:

من الشرق الى الغرب تأخذ تيبازة شكل منحدرات شديدة مائلة الى البحر الى غاية خليج الشنوة، و ذلك بسبب وجود فواصل على مستوى القرية السياحية و على مستوى المدينة وأخرى على مجرى واد الناظور. أدت هذه الأخيرة الى انهيار خليج الشنوة و تشكل شاطئ رملي طوله 875 م مع نهاية جنوبية حصويّة (Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, Mars 2005, p18)، محمي من الرياح الشمالية-شرقية و الغربية و كذلك من التيارات البحرية السريعة، استخدمه الفينيقيين كملجأ لجر السفن للشاطئ. وجود الفالق بالخليج يؤدي الى حركة مستمرة للمشهد الجيولوجي حيث ينتج عنه ارتفاع للكتلة الجبلية بصفة 0.15مم/ سنة (Yelles. A et al, 2009, p112)، مع غرق الهضبة في البحر و تراجع الشريط الساحلي بصفة 2.7-1.7مم/ سنة (Nouri. M, Ozer. A, 2014, p 107) ، و تشير البقايا الأثرية في شاطئ الشنوة الى ارتفاع منسوب مياه البحر خلال الألفيتين الماضيتين زيادة الى الـ50 سم التقليدية، يبرز ذلك في المحاجر المغمورة بالمياه (الشكل رقم 2).

تطوّرت مدينة تيبازة القديمة على رأس بلعيش الذي يتوسّط خليجين شمال-شرقي و جنوب-غربي. الخليج الأول، خليج المدينة العتيقة، يحده رأس الكنيسية الذي يلي شاطئ الشنوة، يحمي شاطئا صغيرا يحدّه شمالا رأس بلعايش. خضعت الواجهة البحرية في ذلك الموقع إلى تغير و الى ارتفاع مستوى سطح البحر، يظهر في الحت تحت البازيليكا المسيحية.

الخليج الثاني متمثّل في خليج الميناء الحالي، يحده رأس سيدي سعيد الذي يرتفع عن مستوى البحر بحوالي 10 م، و في نهايته الشمالية جزيرتين، ثم ينخفض ارتفاع الخط الساحلي الى غاية بلوغه مستوى البحر في موقع الميناء الحالي، أين كانت تصب فيه قديما أودية و مجاري مائية أخرى (Carayon. N, 2017, p 498). تبين البقايا الأثرية و الجيولوجية حدوث تغييرات للساحل في هذا الفضاء بفعل المؤثرات الطبيعية و الإنسانية، بحيث يسهل الوصول الى نتيجة تؤكّد تراجع الخط الساحلي، خاصّة في منطقة محجرة الميناء، هذا راجع الى الطبيعة الرملية للقاع الصخري حيث لا يغير من قوة الأمواج عكس القاع الصخري (Atroune. F,Bouhmadouche. M, Hemdane. Y, 2016, p 544). تسجّل منطقة الميناء الحالي ضمن الشبه بحيرات(Carayon. N, Lagune) (2017, p 496) من خلال طوبوغرافيتها إذ تعرف بوجودها في

الشكل 2: خريطة الأخطار الجيومرفولوجية

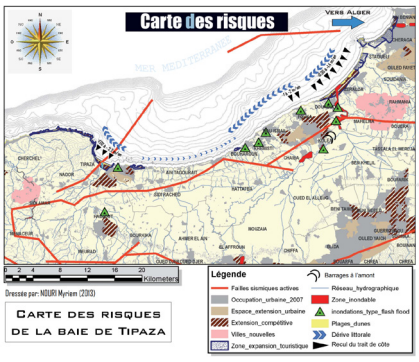

المصدر: Nouri M 2013

محيط دلتائي نتيجة الحركات الترسيبية-المائية من التقاء الأنهار (نجد مجريين مائيين على الأقل في الفترة القديمة) و البحر و التي تشكل فراغا بشكل حوض (Morhange. C et al, 2015, p 119). يمتاز الموقع بطابعه المنخفض، إذ تصب فيه عدد من المجاري المائية الآتية من أعالي المدينة. يؤثر هذا الطابع على عملية الترسيب بحيث تصنف المنطقة ضمن المناطق المعرضة للفياضانات التي تنشأ جرّاء التساقطات المعروفة بـ Flash-Flood ، ما قد أجبر المدينة في الفترة القديمة الى القيام بعمليات جرف لقاع الحوض المينائي إن وجد لتفادي انغلاقه تحت الطمي، رأى باراديز في الأسبار التي أقامها الميناء الذي اندثر جراء هذه الظاهرة.

في أقصى شمال الميناء الحالي، ينتمي موقع سيدي سعيد الى تشكيلات العصر الجيولوجي الرابع، يتميز الموقع بازدواجية انتمائه الجيولوجي، ففي حين تنتمي الهضبة الى غاية أسوار المدينة الشمال شرقية الى تشكيلات السيسيلي (Sicilien) من البليستوسين المتوسط التي توازيها تشكيلات جبل الشنوة على ارتفاع 100م، فإن الجزيرتان تنتميان الى تشكيلات التيريني (Tyrrhénien)من البليستوسين الأعلى. يعود ارتفاع الهضبة الى وجود فالق جيولوجي على مستوى القرن الذهبي (Saoudi. N, 1984-1985-1986, p 75) ، ما يعني أنها تخضع الى عمليات ارتفاع على سلم مجهري، غير كافي لتغيير المشهد القديم، ما تؤكده تواجد مغارتي سيدي سعيد المأهولة في الفترة العاترية.

تمنح الجزيرتين حماية ضد الرياح الشمال- الشرقية و الشمال-الغربية ، الا أن، و بسبب الساحل الصخري الغير المستوي والمنحدر، الارساء يستلزم إنشاء حماية إضافية(Carayon. N, 2017, p 487). تشير الخريطة الباتيمترية الحالية المسجلة في هذا الموقع الى وجود حوض طبيعي ملائم لرسو السفن، مع عمق كافي لحركة السفن (Tirant d'eau) من دون عوائق إذ أن قاع الحوض رملي-حصوي مستوى ذو ميل متزايد تتخلله بعض من القطع الحجرية المنقولة.

4- الخاتمة:

جيومورفولوجيّة ساحل مدينة تيبازة توضّح مجموعة النقاط التي تمنح مراسي محميّة نسبيا (رؤوس، شواطئ، خلجان، جزر)، و قد سمحت التحريات البرية على ساحلها بمشاهدة أدلة على تغيرات طرأت على الخط الساحلي، التي نتجت معظمها من فعل الحت الطبيعي الريحي و البحري، زيادة الى تطوّر النسيج العمراني. تشير المعطيات الجيولوجية الى خضوع المنطقة الى حركة تكتونية نشيطة نتيجة وجود فوالق فيها شكلت المشهد الطبيعي المميز لمنطقة تيبازة من منحدرات تتخللها مناطق منخفضة، منحها مواقع مواتية للرسو تم إستغلالها من قبل شعوب الفترات القديمة.

بسبب طابعها الصخري، لم تطرأ تغيرات جذرية في ساحل تيبازة. هذا الوضع سمح بدراسة موانئها و مرافئها، عبر التدقيق في الطابع الجيومرفولوجي للمنطقة و بالإسقاط على موانئ الفترة القديمة ابتداءا من قدوم أول البحارة الى المدينة في القرن 6 ق.م استنادا الى البقايا الأثرية الجنائزيّة. للتعمق في موضوعنا هذا، نرجو القيام بدراسة مكملة حول الترسبات، ما قد يسمح بالوصول لنتائج واكتشافات جديدة، تؤكد أو تنفي معطيات لطالما كانت مرجع الدراسات لآثار تيبازة المغمورة بالمياه والتي لها صلة وثيقة بالملاحة و التعمير.

قائمة المراجع :

Atroune. F, Bouhmadouche. M, Hemdane. Y, (2016), « Identification des zones côtières à fort potentiel en énergie marine renouvelable (vague/houle), à travers l'étude de la morphologie côtière et sous-marine et hydrodynamique », Revue des Energies Renouvelables, vol 19, N°4, 543 – 552.

Baradez. J, (1961), « Note sur le port antique de Tipaza de Maurétanie », in : Studi storici, topografici ed archeologici sul « Portus Augusti » e sul territorio classicano, convegno per lo studio della zona archeologica di Classe a mezzo del l'aerofotografia, Ravenna.

Betrouni. M, Saoudi. N, (1978 -1979), « Quaternaire marin récent du Sahel occidental d'Alger », in : Libyca, Tome XXVI-XXVII, 0821-.

Betrouni. M, (1998), « les grottes préhistoriques du plateau littoral de Tipasa », in : Libyca, Tome XXXV, 2355-.

Carayon. N, (2008), Les ports Phéniciens et Puniques géomorphologie et infrastructures, Thèse de doctorat en sciences de l'antiquité- Archéologie, Université Strasbourg II, France.

Lancel. S, (1982), Tipasa de Maurétanie, histoire et archéologie, Aufstieg und Niedergang der römischen Welt, II Herausgegeben, Ed Walter de Gruyter & co, Berlin.

Ministère de l'Aménagement du territoire et de l'environnement, Mars (2005), Programme d'aménagement côtier «PAC», Zone côtière algéroise , Programme d'Actions Prioritaires, Centre d'Activités Régionales, Alger.

Morhange. C, Marriner. N, Blot. M.L, Bony. G, Carayon. N, Carmona. P, Flaux. C, Giaime. M, Goiran. J.P, Kouka. M, Lena. A, Oueslati. A, Pasquinucci. M, Poroto. A, (2015), « Dynamiques géomorphologiques et typologie géoarcheologique des ports antiques en contextes lagunaires », in : Quaternaire, T26, N° 2, 117139-.

Nouri. M., (2013). Le tissu urbain face aux risques naturels (Cas de la baie de Tipaza – Algérie). Master complémentaire en gestion des risques naturels, Université de Liège : 48p.

Nouri. M, Ozer. A, (2004), « Le tissu urbain face aux risques naturels, cas de la baie de Tipaza-Algérie », in : Geo-Eco-Trop, vol 38, 103110-.

Saoudi. N, années (1984 - 1985 - 1986), « Tectonique récente du littoral ouest algérois », in : Lybica, Tome XXXII à XXXIV, alger, 6980-.

Yorke. R.A, Davidson. D.P, (1968), Roman harbours of Algeria, Report of the Maghreb Project.